**الفنّ القصصيّ: الأعلام والاتجاهات**

**مفتتح**

نجحت القصة العربية في تحقيق حضورها الأدبي بشكل متميز، وذلك بسبب كتابها الذين قدموا لها بطرائق وأساليب ماتعة، كشفت عن عبقرية مبدعة في الكتابة القصصية، بقدر ما حققت لها هويتها الأدبية، فامتلكت صوتها الخاص من خلال التعبير عن قضايا المجتمع العربي، ومن خلال استقراء التراث بحثا عن أشكال وأساليب جديدة، ثم تجاوزه بحيث تؤسس لتراثها الجديد، لم تتفجر قيم تلك العبقرية المبدعة وأبعادها إلا باتباعها لتيارات أدبية كالواقعية في الأدب، وتيارات فكرية الشيوعية في السياسة، ساعدا في توجيه الكتاب إلى استكناه واقعهم، وانتقاد السلوكات والأفعال والبنيات الذهنية التي شوهت صورته، بحثا عن أخرى تظهره بمظهر إيجابي، تعكس الأثر التقدمي لروح العصر فيه، بقدر ما تعكس الأثر الطلائعي للقصة فيه، وكتابها، سنقتصر على اثنين منهم، موضوعا لتطبيقنا الحالي، وهما: سهيل إدريس، وإبراهيم الكوني.

**1- سهيل إدريس**

**أ- سيرته**

سهيل إدريس (1925- 2008)، كاتب قصة وروائي من بيروت- لبنان، كان والده الشيخ إدريس من أصول مغربية، تعلم بالكتاب، ثم التحق بمدرسة الحجر الابتدائية، فكلية المقاصد الإسلامية في بيروت **([[1]](#footnote-1))**، ثم المعهد الديني لكلية فاروق الشرعية ببيروت، غادرها بعد حصوله على شهادة البكالوريا عام (1940م) بسبب توقه الشديد لدراسة الأدب، فانكب على دراسة الأدب الفرنسي، وكان أن ترجم رواية مولن الكبير للروائي الفرنسي آلان فورنييه، وأرسلها إلى دار الكتاب المصري التي كان طه حسين مشرفا عليه، لكن لم يكتب لهذه الرواية أن تنشر بسبب احتراق الدار، ليعود إلى كلية المقاصد فيدرس فيها عاما توج بشهادة البكالوريا في الفلسفة (1942م)، وبعد اشتغاله في الصحافة مدة سبع سنوات (1942- 1949) سافر إلى فرنسا للالتحاق بالمعهد العالي للصحافة بباريس (1949- 1950)، ثم بجامعة السوربون وحاز منها على شهادة الدكتوراه في الآداب عام (1952) عن أطروحة عنوانها القصة العربية الحديثة والتأثيرات الأجنبية فيها 1900- 1950، واشتغل عند عودته إلى لبنان في جرائد عديدة، منها: الرسالة (مصر)، الأديب والأمالي (لبنان)، الصباح (سوريا) وبيروت المساء (لبنان)، ومجلات منها: المكشوف، الأماني، الصياد، والجديد، ثم أن أنشأ مجلة الآداب (1953م) بالاشتراك مع بهيج عثمان ومنير البعلبكي، وما لبث أن استقل بها وظل رئيسًا لتحريرها (1956- 1992)، وحولها إلى دار الآداب (1956م) بمعية نزار قباني واستقل بها (1961م)، كما شغل منصب أستاذ في جامعات عدة، منها: الجماعة الأمريكية بلنان، وكلية المقاصد الإسلامية ببيروت، وهو أحد مؤسسي مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت عام (1975م) وعضو مجلس أمانته لسنوات عدة **([[2]](#footnote-2))**.

 **ب- من مؤلفاته**

ألف سهيل إدريس كتبا عديدة، يمكن ترتيبها وفق التصنيف الآتي:

**- القصص**

نيران وثلوج (1948)، كلهم نساء (1949)، الدمع المر (1956)، رحماك يا دمشق (1965)، أشواق (1974)، العراء (1977)، أقاصيص أولى (1977)، وأقاصيص ثانية (1977).

**- الروايات**

الحي اللاتيني (1953)، الخندق الغميق (1958)، أوصابعنا التي تحترق (1962).

**- المسرحيات**

الشهداء (1965)، و زهرة من دم (1969).

**- الدراسات**

القصة في لبنان (1953)، في معترك القومية والحرية (1977)، مواقف وقضايا أدبية (1977).

**- المعاجم**

المنهل: فرنسي- عربي (1970)، بالاشتراك مع جبّور عبد النور/ والمنهل: عربي- فرنسي، بالاشتراك مع صبحي الصالح.

**- الترجمة**

سارتر والوجودية (1953) لألبريس، بستان الكرز (1954) لتشيكوف، الطاعون (1959) لكامي، موتى بلا قبور (1962) لسارتر، مذكرات برجوازي صغير (1971) لريجيس دوبريه، من أكون في اعتقادك (1978) لروجي جارودي، وهيروشيما حبيبتي (1990) لمارغريت دوراس**([[3]](#footnote-3))**.

.**جـ- اتّجاهه القصصيّ**

اعتمد سهيل إدريس المنهج الواقعي في كتاباته القصصية لرصد التحولات الاجتماعية الإيجابية التي حدثت في بيئته بعد الحرب العالمية الثانية، كالثورة على رجالات الدين (الكهنوت)**([[4]](#footnote-4))** والتقاط جدلية التجديد والتجدد**([[5]](#footnote-5))**، وتصوير التجربة الإنسانية المعبرة عن التقاء رجل الشرق برجل الغرب**([[6]](#footnote-6))**، فانفتحت قصصه على صراعات عميقة، لما يمكن أن يعنيه تمزق الذات بالنسبة للفرد المبدع جراء انقسام وعيه بين تجربتين: تراثية بطابعها المحافظ، وغربية بطابعها التقدمي**([[7]](#footnote-7))**.

قد يرجع السبب إلى معاناته للتجربة بنفسه، فقد أراد والده أن يسلك منهجه في الحياة، فتابع تعليما دينيا وهو لم يبلغ الثامنة من العمر، ابتدأه بالكتاب، فكلية المقاصد الإسلامية، والمعهد الديني بكلية فاروق الشرعية، لكنه خرج عن خطة أبيه لشعوره بالنفور تجاه هذا النوع من الدراسات**([[8]](#footnote-8))**.

أو قد يرجع السبب إلى ظروف العصر المسكونة بدواعي الرفض والتمرد والثورة على الأوضاع السياسية والاجتماعية المزرية، نظرا لاتصال الأدباء بتيارات نادت بالتغيير الأدبي كالواقعية، والتغيير السياسي كالشيوعية، إذ لا يخفى على أحد مقدار التأثير البارز، لمبادئ هذين التيارين، على أدب وأساليب ومواقف الكتاب العرب، بما يتقاطع مع الدواعي المذكورة آنفا.

ومهما يكن الأمر، فقد شكلت قصص سهيل إدريس يقظة سياسية حافلة بالنقد لما يحدث في واقعه، والتمني بأن يتجه المستقبل العربي وجهة جديدة أخرى**([[9]](#footnote-9))**.

**2- إبراهيم الكونيّ**

**أ- سيرته**

إبراهيم الكوني (1948م)، صحفي وروائي وكاتب قصة ليبي، من تنغرت (الحمادة الحمراء) بغدامس ليبيا، فهو من أصول تارﭭية، نسبة إلى قبيلة الطوارق (التيرﭭـي) التي تسكن الجنوب الليبي، تلقى تعلميه الأول في مدراس الجنوب الليبي، ثم عمل محررا بجريدة فزان بالجنوب الليبي، ومجلة ليبيا الحديثة، بعدها سافر إلى موسكو عام (1970م) لدراسة الأدب العالمي في معهد غوركي للأدب، وتحصل منه على شهادة الماجستير بامتياز في العلوم الأدبية والنقدية، عمل صحفيا كما عمل مستشارا ثقافيا بالسفارة الليبية في موسكو، تزوج الكوني عام (1972م) بزميلته في معهد غوركي، لكنه انفصل عنها بعد عشر سنوات، فتزوج بامرأة تيرﭭية وأنجب ولدين، وهو متفرغ للكتابة بعد أن استقر به المقام في إحدى القرى السويسرية منذ العام (1992م)**([[10]](#footnote-10))**.

**ب- من مؤلفاته**

**- القصص**

الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (1974)، جرعة من دم (1983)، شجرة الرتم (1986)، القفص (1990)، ديوان النثر البري (1991)، وطن الرؤى السماوية (1991)، الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية (1991)، الربة الحجرية: الوقائع المفقودة من سيرة المجوس (1992).

**- الروايات**

رباعيات الخسوف (1989): البئر (ج1)، الواحة (ج2)، أخبار الطوفان الثاني (ج3)، نداء الوقواق (ج4)، التبر (1990)، نزيف الحجر (1990)، واو الصغرى (1997)، عشب الليل (1997)، الدمية (1998)، الفزاعة (1998)، بيت في الدنيا وبيت في الحنين (2000)، أنوبيس (2002)، منازل الحقيقة (2003)، الورم (2009)، فرسان الأحلام القتيلة (2012).

**- دراسات**

نقد ندوة الفكر الثوري (1970)، ثورات الصحراء الكبرى (1970)، ملاحظات على جبين الغربة (1974).

**- نصوص**

صحرائي الكبرى (1998)، نزيف الروح (2000)، من أساطير الصحراء (2006)، وطني صحراء كبرى (2010)، ثوب لم يدنس بسمّ الخياط (2012).

**- سيرة ذاتية**

عُدُوس السُّري.. روح أمم في نزيف الذاكرة: الجزء الأول(2012)، الجزء الثاني (2013)، الجزء الثالث (2014).

**جـ- اتجاهه القصصيّ**

يظهر أن قصص الكوني ما بعد الواقعية، قد تبنت لنفسها نهجا يقوم على المزاوجة بين التراثين: العربي في لغته رمزيته الممزوجة بالصوفية، والغربي في لغته الفلسفية الممزوجة بالسوريالية.

تلهج قصص الكوني بعوالم الصحراء بطريقة ملحوظة، فكأنما هي نوع من الكتابة عن السيرة الذاتية التي تكتب عن المكان وطبيعته وجوهره ومعانيه الأدبية، وليس لتكتب عن توق الكوني ببيئة الصحراوية وتأثره الشديد بها، أو انتمائه إليه الذي لم تغيره الغربة ولا المنافي، أو حتى ليعبر من خلالها عن قلق الإنسان العربي المعاصر المشغول بقضاياه الاجتماعية والسياسية المستمرة ولو بمسح كل أبعاد الزمان كما نجدها في قصص الكوني**([[11]](#footnote-11))**، لأنها الكتابة عن العدم، العدم الذي لا ينفي الوجود بل الذي يبدع الظاهرة، ومن هنا ينبثق الحنين للأبدية، الحنين الأبدي الموجود في روح كل إنسان؛ وهو يتمثل عند الكوني في إحقاق حق الصحراء في الوجود**([[12]](#footnote-12))**، بحيث تغدو الصحراء عند الكوني شريكا مسطحا لا يوازيه سوى السماء بفضائها الأزرق الصافي، الذي يبدو كمرآة عاكسة لصحراء الكوني الحرة، بل تبدو الصحراء نفسها مرآة عاكسة للسماء، سماء الكون وسماء الفكر، التي شغل الكوني بترجمتها، والكتابة عنها عبر قصصه الكثيرة والمتنوعة، عدد منظوراته إليها ونوعياتها المختلفة.

إذ تظهر الصحراء في بنية قصصه طالما أن المكان والزمان والشكل مفتوح، وفي موضوعاتها التي لا تكف عن تناول وبحث الصحراء والتساؤل تجاهها وهي موضوعات تتجلى في جوهر الكون والوجود، وكذلك في جوهر العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالحتمية والقدر الذي لا يرد **([[13]](#footnote-13))**، حيث تلعب الرموز والأساطير الصحراوية دورا فاعلا في نقل اللغة من المستوى الشعري الملحمي الأول إلى المستوى السردي الناضج المنظم، إذ تقوم عوالم الصحراء الميثولوجية كالطبيعة والإنسان والحيوان والجماد بدور الكائنات الاجتماعية في حركة الوجود التي لم تتمخض عنها حضارة بعد**([[14]](#footnote-14))**.

على أن هذا النوع من الكتابة، من وجهة نظر بعض الدارسين، حكم بتكرار الكوني لنفسه في كثير من نماذجه القصصية، كما حكمت على نماذجه القصصيه بالرتابة والتكرارية، وهي نماذج ظلت حبيسة البيئة الصحرواية، وأهلها الطوارق، على الرغم من أنه لم يعش في الصحراء سوى عشر سنين الأولى من حياته، الرتابة والتكرارية، وهي تهمة ردها على منتقديه بأنهم لم يفهموا سرّ قصصه، فالمهمة الرئيسة للمبدع تتمثل في خلق النماذج وتحويل العالم إلى رموز**([[15]](#footnote-15))**.

1. )- روبرت ب. كامبل، ***أعلام العرب العربي المعاصر؛ سير وسير ذاتية***، ص229- 230 [↑](#footnote-ref-1)
2. )- محمد الهواري، ***أعلام الأدب العربي المعاصر (ترجمة حقيقية لخمسين شخصية أدبية)***، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، ص124- 126. [↑](#footnote-ref-2)
3. )- ***المرجع السابق***، ص126- 129. [↑](#footnote-ref-3)
4. )- عفيف فرّاج، ***دراسات في الفكر والفلسفة والدين والسياسة والثقافة والأدب***، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، آذار 2014م، ص238. [↑](#footnote-ref-4)
5. )- عفيف فرّاج، ***دراسات في الفكر والفلسفة والدين والسياسة والثقافة والأدب***، ص238. [↑](#footnote-ref-5)
6. )- غالي شكري، ***أزمة الجنس في القصة العربية***، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط1، 1411هـ- 1991م، ص166. [↑](#footnote-ref-6)
7. )- خليل أحمد خليل، ***موسوعة المبدعين العرب في القرن العشرين***، 1/ 60. [↑](#footnote-ref-7)
8. )- روبرت ب. كامبل، ***أعلام الأدب العربي المعاصر؛ سير وسير ذاتية***، ص230. [↑](#footnote-ref-8)
9. )- خليل أحمد خليل، ***موسوعة المبدعين العرب في القرن العشرين***، 1/ 53- 63. [↑](#footnote-ref-9)
10. )- محمد الهواري، ***أعلام الأدب العربي المعاصر***، ص18- 20. [↑](#footnote-ref-10)
11. )- خليل أحمد خليل، ***موسوعة أعلام العرب***، 2/ 1007. [↑](#footnote-ref-11)
12. )- محمد الهواري، ***أعلام الأدب العربي المعاصر***، ص21. [↑](#footnote-ref-12)
13. )- فخري الصالح، ***في الرواية العربية الجديدة***، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2009م، ص147. [↑](#footnote-ref-13)
14. )- صلاح فضل، ***في تحليل شعرية السرد***، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، ط1، 2003م، ص13. [↑](#footnote-ref-14)
15. )- محمد الهواري، ***أعلام الأدب العربي المعاصر***، ص22. [↑](#footnote-ref-15)